Coptology

الموت العقابي أو البدلي !!!

ماذا يعني الإحتكام إلى أثناسيوس؟

(٢)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

تشبيهات التدبير

في معرض شرحه للتدبير قدَّم لنا الرسولي عدة تشبيهات أو أمثلة، وهي حصريًّا:

- الشفيع لدى الآب (٧: ٥).

- الهيكل (٨: ٣)، هيكل الحياة (٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٧: ٢ – ٥٤: ٣).

- تقدمة وذبيحة (٩: ١ – ١٠: ٤ – ٢٦: ٤).

- ملكٌ عظيم (٩: ٣ – ١٣: ٤).

- تجديد الصورة بحضور صاحب الصورة (١٤: ١).

- المصارع النبيل (٢٤: ٣).

- هزيمة الطاغية (٢٧: ٤).

- موت الحية (٢٩: ٥).

- الحَمَل (٣٧: ٧).

- الاسبستوس عديم الاحتراق (٤٤: ٧).

سنتعرض لأربعة أمثلة فقط منهم على سبيل المثال:

من يريد أن يعرف إيمان أثناسيوس، وكيف يقدِّمه، لا يجب أن يفرض تصوُّره الخاص. ولدينا نموذج يعرفه كل من كان يتابع الميامر التي كان دير السريان يصدرها في مناسبة عيد الميلاد والقيامة، فقد قدَّم الراهب أنطونيوس السرياني ميمر عيد الميلاد: لماذا

تجسد الله، على أنه للقديس أثناسيوس، في حين كان الميمر إعادة صياغة لما ورد في محاضرات اللاهوت النظري للأب أوجين دي بليسي والتي لا علاقة لها بالمرة بأيٍّ من كتابات القديس أثناسيوس. وتمر الأيام ويصبح الراهب أنطونيوس السرياني أسقف الكلية الإكليريكية، وعندما حاولت تدريس كتاب "تجسد الكلمة" مُنعتُ من التدريس، وألغى الأنبا شنودة مادة آباء الكنيسة من مناهج الدراسة. هذه حقيقة ما حدث. وقد أدركت أن الحوار مستحيل لأن كل مَن يظن أنه على حقٍ بشكلٍ مطلق لن يسمع ولن يتنازل. ونحن هنا أمام من استوعب تراث الإسكندرية، ومن لا زال تحت تأثير لاهوت العصر الوسيط الذي تطوَّر على يد أنسلم وقادة حركة الإصلاح.

أقول للكل: نحن لسنا في حلبة مصارعة، ولا هي قضية مَن هو على صواب ومَن منا على خطأ، بل الدافع الحقيقي لإصرارنا على الشرح والتوضيح كان ولا يزال هو استرداد تراثنا اللاهوتي. وعندما يحاول أيٌّ من الإكليروس الدفاع عن لاهوت العصر الوسيط، فليعلم أنه يفصل نفسه عن تراثنا ويبدد أساسات التدبير.

ومَن قرأ نصوص الآباء، وعلى وجه التحديد أثناسيوس بما أن مناسبة الكلام هي كتاب تجسد الكلمة، لا بد وأن تثور في ذهنه بعض الأسئلة:

أليس غريباً ألا يذكر أثناسيوس نفسه شيئًا عن مصالحة العدل مع الرحمة؟

ألم يلفت النظر أن أثناسيوس لم يُشِر من قريبٍ أو بعيد إلى دفع ثمن الخطايا؟

وقد سبق لنا أن شرحنا في محاضراتنا عن تجسد الكلمة ما هو المقصود بدفع الدين، وقلنا إن الدين هو الصورة الإلهية[1]، هبة الله للإنسانية. فعندما بدد الإنسان

(١) ويؤكد القديس أثناسيوس ذات الأمر في مقالاته ضد الأريوسيين، فيقول: "ومرة أخرى حيث أن عمل الله –أي الإنسان– الذى خُلِق كاملاً، قد صار ناقصاً بسبب المخالفة، وصار ميتاً بالخطيئة، فلم يكن لائقاً أن يظل عمل الله ناقصاً ... لأجل ذلك فإن كلمة الله الكامل قد لبس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه "خُلق من أجل الأعمال"، لكى بعد أن يوفي الدين عنَّا يكمّل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان كان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس" (ضد أريوس ٢: ٦٦).

الصورة كان طريق الخلاص هو تجديد الصورة الإلهية فينا لأن الخلاص ليس عملاً موجَّهًا للآب، وليس هو دفع الابن ثمن الخطايا، ولا هو إرضاء عدل الله الآب المشتعل غضبًا والذي حرق ابنه مصلوبًا، بل هو إبادة الموت وسلطانه فينا.

والعقوبة ليست كما نفهمها الآن في الثقافة المعاصرة، أي بالمعنى القانوني، بل هي تحوُّل الإنسان من الوجود إلى الفناء، أي إبادة الكيان الإنساني (راجع الفصل الثامن كله)، وتلاشي خلقة الله. لأن الموت هدم الكيان الإنساني، وأعاد الإنسان إلى ما كان عليه، وهو التراب أو الفناء الذي أعطاه الرسولي اسم "**الفساد الطبيعي**"، **أي عجز الإنسان عن أن يبقى خالدًا بقوته ومعرفته**، لأن الإنسان هدم نفسه، بالإضافة إلى انتزاع نعمة الصورة الإلهية (٧: ٤).

المثل الأول: الشفيع لدى الآب

صار الرب يسوع شفيعًا لدى الآب (٧: ٥)، وحدد الرسولي أثناسيوس خدمة الرب يسوع كالآتي: "هو وحده القادر أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وأيضًا أن يصون صدق الآب ... وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، كان هو وحده القادر أن يعيد خلق كل شيء وأن يتألم عن الجميع وأن يكون شفيعًا عن الكل لدى الآب".

وهنا يجب أن ننتبه وبشدة إلى أن:

١- الشفيع لا يمكن أن يشفع إذا كان هو نفسه واقعًا تحت حكم الدينونة.

٢- البديل يظل بديلاً دون أن يتحول إلى شفيع.

٣- تحوَّلَ الفاسدُ إلى عدم فساد؛ لأن الكلمة هو الإله الذي فوق الكل، وهو الشفيع طبقاً لما نراه في (١ يو ٢: ١ – عب ٧: ٥ – عب ٩: ٢٤)، وهي خدمة الرب يسوع رئيس الكهنة.

المثل الثاني: هيكل الحياة

"أعد الربُّ الجسد في العذراء ليكون هيكلاً له وجعله جسده الخاص متخذًا إياه أداةً ليسكن فيه ويُظهِر ذاته" (٨: ٣). كيف يمكن أن يكون الرب بديلاً، وهو الإله الذي تجسَّد لكي يعلن محبته للبشر ويعلن ذاته؟ وما هو الإعلان الأبدي الذي كان يمكن لهذا البديل أن يقدمه؟ لقد أخذ الربُّ جسدًا قابلاً للموت لكي يقدم هذا الجسد عن الجميع، ولكن كان من المستحيل أن يبقى هذا الجسد ميِّتًا بعد أن جُعِلَ هيكلاً للحياة. ولهذا، إذ قد مات كجسدٍ مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه (٣١: ٤).

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن:

١- الحياة التي لا تموت هي أُلوهية الرب والمخلص، وهي الحياة التي قابلت الموت وكانت من القوة والفاعلية لدرجة أن جسد الرب لم يفسد في القبر.

٢- إعلان ذاته في الجسد (٤٤: ٣)، يُضافُ إليه أن الموت كان ملتصقًا بالجسد، وكان التصاق الحياة به أمرًا ضروريًّا لخلاص الإنسان حتى تصبح "الحياة داخل الجسد" (٤٤: ٥ - ٧).

هل أدرك الذي يقبعون وراء الميكروفونات أن تحول المائت إلى حياة، والفاسد إلى عدم فساد ضروريٌّ للخلاص الأبدي، وليس مجرد أن يجوز البديل الموت؟

المثل الثالث: التقدمة والذبيحة

يؤكد الرسولي أن الرب قد أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت (٩: ١)، وعندما يموت على الصليب "يبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١). فقد هزم الربُّ الموتَ عندما قدَّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مناسبة وذبيحة خالية من كل عيبٍ" (٩: ١). عند ذلك "رفع الموت فورًا عن جميع نظرائه من البشر"

(٩: ٨).

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن:

١- أبطل الرب فساد الموت ووضع حدًّا للموت (٩: ٤).

٢- عندما مات الرب "لأجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا". كيف مات الجميع؟ لأن الإنسانية فيه طبيعة واحدة ولما مات الرب أُبيدَ الفساد والموت من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به (٢٠: ٥).

٣- يؤكد الرسولي في الفصل الثامن أنه عندما بذل الرب جسده للموت عن الجميع، وقدَّمه للآب، **كل هذا فعله من أجل محبته للبشر** أولاً: لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء" (٨: ٤)، وهكذا يردد أثناسيوس عبارة رسول الرب: "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢). ثانياً: لأن الرب أبطل شريعة الموت والفناء لأن سلطان الموت قد استُنفِد في جسد الرب (٨: ٤).

كانت المحبة هي التي استُعلِنت بتقديم الرب جسده للموت. والموت ليس كائنًا مثل الشجر والأحجار والبشر، بل هو الفساد الذي أصاب الكيان الإنساني، وهو ما يؤكده الرسولي في بقية الفقرة: "فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت كما تبيد النارُ القشَّ" (٨: ٤). إذن فقد ردَّ الحياة بعد إبادة الموت، أو بالحري أُبيد الموت لكي يعطي حياةً للبشر.

المثل الرابع: الملك العظيم

"وكما أنه عندما يدخل أحد الملوك العِظام إلى مدينة عظيمة ويسكن في أحد

بيوتها، فإن المدينة كلها تكرمه أعظم تكريم، ولا يجرؤ أيُّ عدوٍّ أو عصابة أن تدخل إليها ... جاء إلى عالمنا وسكن في جسد مماثل لأجسادنا ... وأبطل فساد الموت .. لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع ابن الله قد جاء ليضع حدًّا للموت" (٩: ٣ – ٤).

في هذا الفصل بالذات استخدم أثناسيوس الكلمة اليونانية αντι ψυχον "فديةً عن الجميع". والكلمة معروفة في الأدب اليوناني وتعني ما يُقدَّم من أجل الإبقاء على حياة (القاموس اليوناني – الإنجليزي للعهد الجديد والكتابات المسيحية الأولى – إصدار جامعة شيكاغو، ١٩٥٢، ص ٧٥). هذا القاموس وبعده مجموعة Kittle (١٠ مجلدات، ثم قاموس الكلمات اليونانية الخاص بالآباء، كل هذه من مصنفات القرن العشرين، ولم تكن معروفة في زمن الآباء)، ولم يستخدم أثناسيوس قاموسا لكي يكتب، وإنما شرح الإيمان على أساس التدبير، وهو العهد الجديد الأبدي، عهد الشركة المستعلن في المسيح يسوع، عهدٌ شُيِّد على شخص أو أقنوم الكلمة المتجسد.

هذا يحتم علينا أن نقرأ بدقة شرح أثناسيوس نفسه لأن كلمة فدية يحددها أثناسيوس "كان لائقًا أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً عن الجميع موفيا دين الجميع بموته". ولو كان المعلم السكندري توقف عند هذه الكلمات لقلنا ما قاله لاهوت العصر الوسيط، ولكنه يتابع "وهكذا باتخاذه جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة. **ولم يعُد الفساد الطبيعي بالموت له سلطان على البشر** بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٩: ٢ – ٣).

"عمانوئيل إلهنا في وسطنا بمجد أبيه والروح القدس" (أنشودة يا ملك السلام). فلا دفعٌ لدين لله الآب، لأن أثناسيوس لم يذكر أن المسيح جاء لكي يدفع الدين لله الآب. وكما شرحنا في دراستنا عن موت المسيح على الصليب، جاء الرب لكي يعيد إلينا ما بددناه، وهو الصورة. كان الدين تبديدًا للأمانة أو العطية، أي الصورة الإلهية، وإعادة

الصـــورة الإلهية إلينا ليس ما يُدفع، بل ما يُجدَّد، وهو ما يُبعِد أي معنى للكلمة اليونانية "فدية" عن معناها السائد. فالقواميس تشرح الكلمات، ولكن المسيحية برمتها لم تؤسَّس على كلمات، بل على أقنوم أو شخص ربنا يسوع. هذه ميزة وخصوصية لا يمكن تجاهلها لأننا لسنا أهل كتاب، بل أهل الله المتجسد.

في الفصل ١٣ يضع أثناسيوس عدة أسئلة:

* فما الذي كان على الله أن يفعله؟

* ما هي الفائدة من خلق الإنسان أصلاً على صورة الله؟

* وما الفائدة التي تعود على الله الذي خلقهم وكيف يتمجد إن كان البشر الذين خلقهم لا يعبدونه، بل يظنون أن آلهةً أخرى هي التي خلقتهم؟

ويعلق هو نفسه على السؤال بأن الله خلقنا لنفسه. ثم يقدم مثل الملك، وهو بشر: "إذ امتلك لنفسه بلادًا يترك مواطنيه لآخر ... وإن اقتضى الأمر يذهب إليهم بشخصه ..."، ثم يختم: "أفلا يشفق الله بالأولى على خليقته ...." (١٣: ١ -٦).

وسؤال أثناسيوس نفسه: إذن فما هو الذي كان ممكنًا أن يفعله الله؟ وكيف كان من الممكن أن يتم تجديد الخليقة التي وجدت على صورة الله مرةً أخرى؟

والإجابة هي: "حضور مخلصنا يسوع المسيح نفس صورة الله لأن البشر خلقوا على مثال الصورة". فكيف تم التجديد؟ وإجابة أثناسيوس نفسه: "كان من اللائق أن يأخذ جسدًا قابلاً للموت حتى يمكن أن يبيد فيه الموت ويجدد خلقة البشر الذين خُلقوا على صورته. إذن لم يكن كُفؤًا لسد هذه الحاجة سوى صورة الآب" (١٣: ٩).

إن إبادة الموت ورد الصورة طريق آخر لم يعرفه أنسلم ولا غيره، ولازال طريقٌ شبه مجهول عند الذين سقطوا في الأسر البابلي.

إن تجديد الصورة هو بالتجسد والصلب والقيامة، وهو إبادة الموت، ورد الحياة الأبدية، وانعتاق الإنسان من سلطان الفساد والموت ومن الولادة البيولوجية بالولادة السماوية من الماء والروح.

لا مكان للبديل بالمرة؛ لأن من أباد العقوبة ليس بديلا يعاقَب، بل المخلص ربنا يسوع المسيح.

+ + +